المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الهوية الوطنية العراقية
اسم الكاتب: أ.د. نوار محمد ربيع الخيري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2225
تاريخ الاسترداد: 2025/06/08 06:42 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الهوية الوطنية العراقية

أ.د. نوار محمد ربيع الخيري(*)

المقدمـــة :-

يرتبط وجود الإنسان وحياته واستمراره بالهوية ، هويته كشخص وهويته في انتمائه إلى الوطن ، هذه الهوية التي تسهم في تحديد شخصيته و تميزه عن الآخرين وكهوية وطنية تسهم في تحديد فكرة و ولائه وانتمائه إلى وطنه بكل ما يملكه ذلك الانتماء من سمات ومميزات ذاتية وثقافية ولغوية وتاريخية وحضارية ودينية وفوق كل ذلك أو ما يجمع كل ذلك سمة الوطنية . إن البحث في الهوية العراقية بكل ما تحمله من السمات والخصائص والمميزات التي تؤطرها وتجمعها سمة الوطنية ينطلق من الظروف والأوضاع التي أدت إلى التأثير في الهوية الوطنية العراقية ، فتحولت إلى أزمة في الهوية الوطنية العراقية أوجدت العديد من الأمراض والمشاكل المجتمعية في عدم الفهم للهويات الفرعية العرقية والقومية والطائفية والدينية وان كانت نسبية وجزئية فإنها تستلزم الوقوف على تلك المسببات وإيجاد الحلول لتلك الأمراض والمشكلات والعودة إلى تعزيز المرتكزات التي تقف عليها الهوية الوطنية العراقية ، وسنبحث موضوع الهوية الوطنية العراقية من خلال تناول معنى الهوية والهوية الوطنية العراقية والتحديات التي واجهتها والعمل على تعزيز الهوية الوطنية العراقية.

أولاً : معنى الهوية والهوية الوطنية :-

الهوية ذات معنى واسع وشامل ومتعدد الأبعاد يحتاج البحث في مدلولاته التعرف على كل الأبعاد والمعاني التي تحملها . فقبل كل شيء إن المعنى اللغوي لكلمة الهوية في اللغة وتحديداً في اللغة العربية هي مصدر مركب من (هو) ضمير للمفرد أو مصطلح الغائب المعرف بأداة التعريف (ال) ومن اللاحقة المتمثلة في (ياء) المشددة وعلامة التأنيث (التاء). وفي تعريف الجرجاني للهوية (إنها الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار) . أما ابن رشد فالهوية عنده تقال (بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود). أما مفهوم الهوية باللغة الانكليزية تقابله كلمة (Identity) ، ويرجع أصلها أو أساسها إلى اللاتينية وبين الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه ، أي إن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشئ الآخر. أما في اللغة الفرنسية فكلمة الهوية (Identite) تعني مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخصاً معروفاً أو متعيناً[1].

أما المعنى الفلسفي للهوية فإن الذات هي ما يعطيه الفلاسفة تسمية الهوية إذ يرون إن ذات الإنسان هي هويته و هي كل ما يشكل شخصيته من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك بل وكل ما يميزه عن غيره من الناس . وفي تعريف (اريكسون) للهوية الشخصية أو الذات يقول بأنها الوعي الذاتي ذو الأهمية بالنسبة للاستمرارية الآيديولوجية الشخصية وفلسفة الحياة التي يمكن أن توجه الفرد وتساعده في الاختيار بين إمكانيات متعددة ، وكذلك توجه سلوكه الشخصي[2]. إن ما يحدد الهوية الشخصية هو الوعي فبواسطته تنسب الأفعال إلى الفاعل وبه تثبت مسؤوليته عليها

(*) معاون العميد للشؤون العلمية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية.

[1] د. ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨ م ، ص ٦٧٣ .

[2] تعريف الهوية ، على الموقع الالكتروني :
http://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

ويظل ذلك الفعل لصيقاً بهويته حتى وإن تغيرت الظروف ومرت الأزمان ، وهو الذي يبرر الثواب والعقاب ولذلك جعل (جون لوك) من مفهوم الشخص أحد المفاهيم القانونية الأساسية ونظر إلى جوهره المتجسد في الوعي كمبدأ أول و أساس تقوم عليه الأهلية القانونية والعدالة[٣]. الهوية الفردية لها ثلاثة أبعاد وهي : الكائنات البشرية عبارة عن أفراد متفردين ومراكز متميزة للإحساس بالذات ويمتلكون تفاصيل ذاتية مختلفة وحياة شعور شخصي وأفكار وآراء خاصة وهو الهوية الشخصية .

و البعد الثاني و يتميز بالتداخل و التماسك الاجتماعي فالناس جماعات عرقية أو دينية أو ثقافية أو قومية وغيرها من الجماعات المترابطة مع بعضها والمتميزة وهي الهوية الاجتماعية . والبعد الثالث هو إن الناس كائنات بشرية يعرفون وينتمون إلى نوع مميز وهم يعرفون أنفسهم ويقررون كيف يعيشوا . هذه الأبعاد متداخلة ولا يمكن فصلها وكل منها يكتسب معناه بارتباطه بالبعدين الآخرين ليكونوا الهوية الفردية أو الهوية الشاملة للإنسان[٤].

يشير مفهوم الهوية إلى (ما يكون عليه أو به الشيء أي من حيث تشخصه وتحققه في ذات وتمييزه عن غيره فهو وعاء الضمير لأي تكتل بشري ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة و إرادتها في الوجود داخل نطاق الحفاظ على كيانها)[٥]. إذن فالهوية هي مصطلح لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات (كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية) ، ويستخدم المصطلح في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي ، فهي أي الهوية مجمل السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها[٦].

أما الهوية الوطنية فهي مجموع السمات والخصائص المشتركة التي تميز امة أو مجتمع أو وطن عن غيره ويعتز بها وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة[٧].

إذا ما أريد تحليل الهوية فهناك مستويات للهوية يحددها الأستاذ علي الدين هلال إذ يقول (ينبغي التمييز بين ثلاثة مستويات مختلفة عند تحديد موضوع الهوية، فهناك الهوية على المستوى الفردي أي شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني اكبر يشاركه منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات. والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهناك ثانياً التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري، وهناك ثالثاً حال تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة). أما الأستاذ محمد عابد الجابري فيعرف الهوية بأنها (هوية العربي: بأنها رد فعل ضد الآخر ونزوع حالم لتأكيد (الأنا) العربي بصورة أقوى وأرحب. فهوية العربي ليس وجوداً جامداً ولا هي ماهية ثابتة جاهزة إنها هوية تتشكل وتصير)[٨].

---

[٣] أحمد أغبال ، مفهوم الشخص في فلسفة جون لوك ، على الموقع الالكتروني:
http://sophia.over-blog.com/article-12996035.html

[٤] بيكو باريك ، سياسة جديدة للهوية المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، ترجمة وتقديم : حسن محمد فتحي ، مراجعة : محمود ماجد عبد الخالق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٣ ، ص ص ٣٠ – ٣١ .

[٥] تعريف الهوية ، مصدر سبق ذكره .

[٦] هوية ، من ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، على الموقع الالكتروني :
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

[٧] تعريف الهوية ، مصدر سبق ذكره .

[٨] د.ناظم عبد الواحد الجاسور، مصدر سبق ذكره ، ص٦٧٤.

استناداً إلى ما تقدم يمكن أن تكون الهوية مفهوم جامع لمعنى أو معاني تشمل أكثر من زاوية، فالهوية ممكن أن تكون هي الإعلاء من شأن الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه، وهي الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية وتتحول حسب التحول في الواقع ، وهي عبارة عن سمات تميز الشخص عن غيره أو مجموعة عن غيرها ، وهي الخصوصية والذاتية وثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه ، وهي أيضاً جزءً لا يتجزأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ[٩].

ثانياً : عناصر الهوية :-

لما كانت الهوية تعبر عن كل السمات والخصائص التي تميز شخصاً عن الآخرين ، معنى ذلك إن للهوية عناصر أو مكونات أو مركبات تشكل شكلاً متحركاً متغيراً غير ساكن بحيث سيظهر أحد تلك العناصر في ظرف أو مرحلة ما في حين يظهر آخر في مرحلة أخرى وظرف مغاير[١٠]. فالهوية ليست معطى جاهز ونهائي وإنما هي عمل يجب إكماله دائماً والتغيير هو الذي يطبع الهوية وليس الثبات والتفاعل بحكم علاقة الإنسان للآخر[١١].

الهوية هي ليست أحادية البنية أو التشكيل و إنما تتألف من عناصر مختلفة متعددة كالعنصر الاثني والديني واللغوي والأخلاقي والمصلحي إلى جانب الخبرة الذاتية والوجدانية والعلمية كما ليس اجتماع أو اشتراك هذه العناصر يمثل لوحده الهوية وإنما تركيب هذه العناصر عبر الزمان وارتباطها بالتجارب والخبرات والتحديات والظروف التي ينتج عنها ردود الأفعال الفردية والجماعية في إطار الخصوصية التي يحملها كل مجتمع من ناحية والشروط أو التحديات التي يواجهها من ناحية ثانية[١٢].

تتعدد هذه العناصر والمكونات التي تكون الهوية والهوية الجمعية وتتمثل في الآتي الأرض واللغة والثقافة والتاريخ والحضارة والطموح وغيرها الكثير[١٣]. فالأرض أو المكان الجغرافي هو العنصر الذي يعمق الشعور بالانتماء إلى هوية جماعية واحدة ، فالأرض هي ارض الوطن بالنسبة للشعب أو الأمة وهي ملك عام لجميع أفراد الشعب ولا يمكن لأحد التفريط بجزء منها أو التنازل عنها.

أما اللغة وكجزء من الثقافة فتعد أيضاً من العناصر الأساسية في تحديد الهوية وفي تكوين الثقافة وفي توحيد الانتماء الجماعي مثلما هي عليه في الهوية القومية للأمة العربية. أما الدين فهو حاسم في تعزيز الهوية وتقوية ملامحها المشتركة[١٤].

لا تقف عناصر الهوية عند ذلك الحد و إنما تتسع لتشمل جوانب أخرى ناتجة عن العيش المشترك لأبناء الأمة الواحدة كالذاكرة التاريخية الوطنية المشتركة النابعة من الأوضاع والظروف التي عاشها الشعب في أمة معينة أو دولة معينة بمختلف أشكالها وتأثيراتها الايجابية والسلبية ، والتي أسهمت في بلورة ثقافة شعبية موحدة ومحدودة وأنتجت حقوقاً وواجبات مشتركة ناهيك عن الاقتصاد المشترك[١٥]، الذي يؤثر في الشعب و أوضاعه ومستواه ارتفاعاً أو انخفاضاً فينتج

---

[٩] تعريف الهوية ، مصدر سبق ذكره .

[١٠] هوية ، من ويكيبديا الموسوعة الحرة ، مصدر سبق ذكره .

[١١] عبد الحسين شعبان ،، جدل الهويات في العراق الدولة والمواطنة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ن بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ، ص ص ٢٣ – ٢٤ .

[١٢] منذر حسن أبو دان ، أثر أزمة الهوية على مشروع المصالحة الوطنية في العراق ، عراق الصراع والمصالحة – المصالحة والتعايش في مجتمعات الصراع ،(نخبة من الكتاب والباحثين) ، الحوار المتمدن ، دار الشروق للطباعة ، بغداد ، الطبعة العربية الاولى ، ٢٠٠٧ ، ص ٩٤.

[١٣] هوية ، من ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، مصدر سبق ذكره .

[١٤] د. ناظم عبد الواحد الجاسور، مصدر سبق ذكره ، ص ص٦٧٤ – ٦٧٥ .

[١٥] تعريف الهوية ، مصدر سبق ذكره .

عنه رضا أو عدم قبول بذلك الوضع الذي يمثل ظرفاً مشتركاً عاماً يؤشر وضعاً عاماً يعبر عنه الشعب فيمثل بالنتيجة أحد عناصر هوية ذلك الشعب، إلى جانب ذلك ترتبط الهوية بالمواطنة في الدولة من جانب الجنسية كظاهرة وتجسيد لفكرة المواطنة ومن الجانب القانوني لها أيضاً ناهيك عن الانتماء السياسي والأبعاد الثقافية للفرد والجماعة، بمعنى إن مصادر وجود الهوية تأتي من المجتمع المؤثر بشكل متغير في الهوية والتراث الذي يمثل الذي يمثل جوهر الهوية الذي تتبلور عند الشخصية بالذهنية التي تحملها[١٦]. أي إن هناك جوانب كثيرة يتشكل من خلالها مثل الأفراد كالأسرة والمدرسة والطبقة والدين والثقافة والمجتمع على اتساعه ويتأثر هؤلاء الأفراد بخبراتهم وتجاربهم الشخصية ولقاءاتهم مع الآخرين وكل ما يتعرضون له وكل ذلك يؤثر عليهم في تشكيل هويتهم[١٧].

هذه المميزات التي كونت عناصر الهوية تدل على اشتراك مجموعة من البشر أو شعب معين في هذه الميزات التي تميزهم عن غيرهم من المجموعات فهم يتشابهون بالميزات الأساسية التي كونتهم كمجموعة، وربما يختلفون في عناصر أخرى كتعدد الأديان وتعدد اللغات وغيرها ولكن ذلك لا يؤثر على كونهم مجموعة لها عناصر تميزها وتعطيها خصوصية معينة[١٨].

فبذلك تكون الهوية ليست كلاً متجانساً ومتكاملاً ولكن هناك نموذج مركزي يعطيها الطابع العام والمميز إلا إنه في الوقت ذاته ليس جامعاً لكل الصفات فهو نموذج يشتمل على الجوانب الايجابية والسلبية بسبب اختلاف ثقافة أفراد المجتمع الواحد ومصالحهم و وعيهم وممارساتهم وتأثيرهم وتأثرهم بما موجود في المجتمع[١٩].

ثالثاً : الهوية الوطنية العراقية والتحديات المواجهة:

إذا كان (تاجفل) قد عرف الهوية الوطنية بأنها ذلك الجزء من مفهوم ذات الفرد النابع من وعيه بكونه عضواً في جماعة مضافاً إليه الاعتبارات القيمية والانفعالية التي تحال إلى تلك العضوية، فاستناداً إلى ذلك يمكن تعريف الهوية الوطنية العراقية بأنها ذلك الجزء من مفهوم ذات الفرد المعرف رسمياً على إنه عراقي النابع من وعيه بكونه عضو في جماعة وطنية عراقية مضافاً إليه الاعتبارات القيمية والانفعالية التي تحال إلى تلك العضوية[٢٠].

إذا كانت أسس الهوية الوطنية هي توفر الواقع الجغرافي التاريخي، وتوفر الإرادة الثقافية السياسية، فإن وجود العراق في هذه الرقعة الجغرافية في بلاد النهرين بلاد الرافدين الموفرة لذلك الشرط أو الأساس المادي الجغرافي البيئي أوجد وجمع الناس في ذلك المكان منذ فجر التاريخ وتعايشوا وبنوا دولتهم وثقافتهم وحضارتهم المميزة ومقومات وجودهم المشتركة عبر آلاف السنين. أما الإرادة الثقافية والسياسية فإنها تستلزم الوعي الكافي بها للاستفادة منها من خلال إرادة الشعب ووعيه بأهمية الاستفادة من الشرط الواقعي لوجود الأمة، معنى ذلك أن يكون هناك وعياً عراقياً حقيقياً من خلال إرادة ثقافية وسياسية فعلية بواقع الهوية الوطنية العراقية الموروثة وكيفية الاستفادة منها[٢١]، من خلال وضعها في الإطار

---

[١٦] منذر حسن أبو دان ، مصدر سبق ذكره .

[١٧] بيكو باريك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

[١٨] هوية ، من ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، مصدر سبق ذكره .

[١٩] منذر حسن أبو دان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥ .

[٢٠] داود الساعدي ، الهوية الوطنية وتعزيزها في المجتمع العراقي ، دراسات ، على الموقع الالكتروني :
http://al-iraqnews.net/new/studies/65506.html

[٢١] سليم مطر ، ما هي الهوية العراقية ، يقظة الهوية العراقية – القسم الأول : أهمية الهوية الوطنية العراقية ، ميزوبوتاميا ، مركز دراسات الأمة العراقية ، على الموقع الالكتروني:
http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&id=246%3A2010-08-08-04-52-24&catid=41&limitstart=1

الصحيح وعلى المسار السليم بجمع كل جزئياتها وعناوينها الفرعية تحت عنوان الهوية الوطنية العراقية العنوان الرئيس والأساس لتلك الهوية .

تتطور الهويات القومية أو الوطنية عبر التاريخ تطوراً طبيعياً أو نتيجة أحداث أو صراعات أو تغيرات تاريخية أسهمت وسرعت من تبلور بعض المجموعات والبعض تَكَوّن وتبلور على أساس النقيض لهوية أخرى[٢٢].

وبالنسبة للعراق فإنه ومنذ العصور القديمة يتكون ويتركب من اثنيات و أديان وقبائل وطوائف متعددة متداخلة ومتعايشة مع بعضها مع البعض الآخر. وكل منها ارتبط بمرحلة تاريخية معينة من تاريخ العراق الاجتماعي[٢٣].

ففي ظل حالة التغيرات والتحولات والمتغيرات التي يتعرض لها أي مجتمع خلال مرحلة تاريخية معينة فإن هذه التغيرات تطال تأثيراتها كل شيء في المجتمع ومنها الهوية ، فهي إذن تعبير عن التقلبات في الظروف الزمنية والتاريخية ولاسيما في المجتمعات المختلطة وعلى الأغلب إن المجتمعات بطبيعتها التكوينية وعلى اختلافها هي مختلطة سواء من ناحية عرقية أو دينية أو لغوية ، فتلك المجتمعات التي تنمو فيها هذه الظاهرة من خلال تأثير أو ظرف ما اعترى الدولة ، معنى ذلك إن الهوية الوطنية هي ليست بنية مغلقة على ذاتها وإنما هي ظاهرة جوهرية متحولة ومرتبطة بالمحور الثابت وهو الأرض أو الجغرافية متمثلة بالتراب الوطني ، فهي مفهوم يعبر عن ذاته عبر الزمن ومعاييره وفي إطار علاقة متبادلة بين الجغرافية إزاء التاريخ سواء في حالة نهوض أو انهيار على وفق الظروف الذي تمر بها ساعية إلى اجتيازها وفي إطار حركة الحياة بكل تنوعاتها ومعطياتها ، في ضوء ذلك سيكون الإنسان أو المواطن أمام حالة طبيعية وهي الاعتزاز بهويته ولكن ينبغي أن يكون الاعتزاز الذي لا يصل إلى التعصب على حساب إنكار أو تجاهل الآخر ذلك الآخر الذي يتعايش معه خلال مراحل تاريخية وتكوينية طويلة ومهما كان السبب[٢٤]. إن الفكر أو الآيديولوجية القائمة على الأسس الطائفية والعنصرية والقومية والقبلية هو فكرة نافٍ لثقافة المواطنة ويقوم على استعلاء أو محاولة استعلاء وترجيح جماعة على الأخرى[٢٥].

إن طرح فكرة الاعتزاز بالهوية يشير إلى إن هذه الهوية ممكن أن تتعرض إلى ما يؤثر على مضمونها ومكانتها وأهميتها كعامل جامع شامل لأبناء البلد الواحد والمجتمع الواحد ، وفيما يتعلق بالهوية الوطنية العراقية فإن هذه الهوية مرت وتمر بظروف ومشكلات أثرت في كيفية التعامل معها والاستفادة منها بالمعنى والشكل الصحيح ولكن دون أن تمس أسسها وثوابتها التي لابد أن تعود وتظهر وتكون هي المحور الذي يجمع كل العراقيين .

فالمشكلة في الهوية الوطنية العراقية إنه ومنذ تكوين دولة العراق الحديثة وهناك جهل ثقافي وعدم وعي بواقع الهوية الوطنية العراقية المعروفة وعدم الاستفادة منه إذ كان التركيز في كل مرحلة من تلك المراحل ينصب على جوانب فرعية وجزئية لا تشتمل على المعنى العام والشامل للوحدة الوطنية بل بالعكس منافية لها ، بمعنى إن مشكلة أو أزمة الهوية الوطنية العراقية ومنذ المراحل التاريخية السالفة تجسدت بعدم اتفاق الجماعات العراقية المختلفة على تاريخ وطني مشترك

---

[٢٢] هوية ، من ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، مصدر سبق ذكره .

[٢٣] منذر حسن أبو دان ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٦– ٩٧ .

[٢٤] د. سيار الجبل ، أهمية الهوية العراقية ، يقظة الهوية العراقية – القسم الأول : أهمية الهوية الوطنية العراقية ، ميزوبوتاميا ، مركز دراسات الأمة العراقية ، على الموقع الالكتروني:

http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&id=246%3A2010-08-08-04-52-24&catid=41&limitstart=1

[٢٥] باقر سلمان النجار ، الفئات والجماعات: صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٥٢) ، السنة الحادية والثلاثون ، حزيران (يونيو) ٢٠٠٨/٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ص٤٤.

مما يؤدي إلى إضعاف الهوية الوطنية وتقسيم العراقيين كل حسب الهوية الجزئية أو الفرعية القومية أو العرقية أو الدينية أو الطائفية التي يريدها على أهميتها ولكنها ستبعد الفرد عن الهوية الوطنية الشاملة للجميع[٢٦]. فقد تعرضت الهوية الوطنية العراقية منذ خمسين عاماً وأكثر إلى التهميش والازدواجية بين تحديات داخلية وخارجية على مستوى الآيديولوجية و الولاءات وبقي هناك من يعتز بهويته الوطنية لكن مع وجود من يقف بالضد منه ممن يزاوج الهوية الوطنية بهوية أخرى[٢٧]، أو من يعمل على طمس وتهميش الهوية الجماعية الدينية أو العرقية أو غيرها مما يؤدي إلى اضطراب الأوضاع أو حتى وصولها إلى الحرب الأهلية والدينية والطائفية[٢٨].

بمعنى إن تعرض الهوية أو الهوية الوطنية إلى تحديات وردود أفعال يبدأ معها الخوف على الهوية ذلك الخوف الذي تختلف أشكاله ومظاهره في السلوكيات المجتمعية بين القومية والطائفية الدينية والعرقية ويبتعد معها الخوف على الهوية الوطنية الشاملة الجامعة ذاتها فتبدأ دوامة أزمة الهوية، فبذلك تكون أزمة الهوية نابعة من ذات الهوية وجزئياتها ومن خارجها نتيجة للأحداث والمتغيرات والتحديات التي تمر بها وتواجهها. فما مر به العراق من أحداث صعبة نتيجة الاحتلال الأمريكي للعراق وما تعرض له قبل ذلك من حكم استبدادي وحروب وحصار وآثار سلبية كبيرة على الفرد والمجتمع العراقي، أثرت بشكل ما في إحداث بعض الاختلال في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ظهرت في شكل بعض الانقسامات التي أرادت القوى الخارجية أن ترسخها في المجتمع العراقي لتعيد تركيبه في الصورة التي تريدها على وفق مصالحها الإستراتيجية في المنطقة[٢٩]. أن صراع الأفراد والجماعات الذي يأخذ أبعاد صراع الهويات يشتمل أحياناً أيضاً على الصراع من اجل الاستحواذ على مركب القوة القائم أو محاولة جعله يميل إلى الأنا دون الآخر[٣٠].

بمعنى إن تحديات الهوية الخارجية والداخلية بتداخلاتها وتأثيراتها المختلفة تعد سبباً في السجال والصراع حول الحقوق والحريات كمبدأ المساواة التامة والمواطنة الكاملة[٣١].

إن الوصول إلى تلك الحالة أوجد نوع من الابتعاد عن الحديث و الإشارة إلى الهوية العراقية والتركيز على المكونات العرقية والدينية والطائفية والقومية والجهوية الأمر الذي أدى إلى الانقسام والتشظي في داخل الوطن الواحد وظهور المصالح الجهوية والفئوية التي تبحث عن التسميات الفرعية والتي تشكل منفذاً للقوى الخارجية التي تستفيد من نمو واستفحال تلك الحالات واستغلالها لتنفيذ مآربها ومصالحها . لقد أدت تلك الأوضاع وما أفرزته من انعكاسات مجتمعية سلبية إلى الوعي بخطورة استمرار ذلك الوضع والعمل على إيقافه وتعزيز الهوية الوطنية العراقية. ومن الجدير بالذكر انه حتى في حالة الانقسام والابتعاد عن التوحد تحت ظل الهوية الوطنية العراقية كانت حالة نسبية ولكنها طغت على السطح نتيجة الظروف التي كانت تمر بالعراق ولا تشمل كل المجتمع العراقي.

رابعاً : تعزيز الهوية الوطنية العراقية:

أفرزت حالة الانقسام المجتمعي ومحاولات تعميق التوجهات العرقية والطائفية والدينية والهوية انعكاسات سلبية على المجتمع ومكوناته وتركيبته غيبت أو أثرت في منظومة القيم الفردية والمجتمعية الطبيعية التي تحكم علاقات أفراد المجتمع العراقي وشكل تعاملاته وارتباطاته، أدركت معها فئات ومكونات المجتمع العراقي ابتعادهم عن الوعاء الأكبر الذي

---

[٢٦] سليم مطر، ما هي الهوية العراقية ، مصدر سبق ذكره.

[٢٧] د. سيار الجميل ، مصدر سبق ذكره .

[٢٨] د. ناظم عبد الواحد الجاسور، مصدر سبق ذكره ، ص٦٧٥.

[٢٩] منذر حسن ابو دان ، مصدر سبق ذكره ص ص ٩٥ – ٩٩ .

[٣٠] باقر سلمان النجار، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨ .

[٣١] عبد الحسين شعبان مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

يجمعهم وهو الهوية الوطنية العراقية التي تعبر عنهم وعن وجودهم وحياتهم وقيمهم ومصالحهم وأمنهم وتنبهت إلى مخاطر ذلك الانقسام التي تكرس حالة التجزئة والتفرقة وتلبي مصالح القوى الخارجية المستفيدة من هذه الحالة السلبية .

إن منظومة حقوق الإنسان الثقافية للحقوق الجماعية والفردية تقر بحق الأمم بالمساواة بالحقوق واعتبار جميع الثقافات جزءً من التراث الإنساني المشترك للبشرية بما فيها من تنوع واختلاف ، وكذلك حق كل فرد في المشاركة الحرة في حياة المجتمع[٣٢]. لعل من الضروري القول إن الهوية الوطنية العراقية هي هوية مسالمة وإنسانية فهي غير عنصرية وغير عدوانية ولا تقوم بل لا يمكن أن تقوم على أساس العداء والتحريض ضد الآخر أو ضد الشعب الآخر، كذلك إن الهوية الوطنية العراقية هي هوية تنوعية غير تعصبية أو متعصبة أي إن قوتها وحياتها ووجودها واستمرارها تكمن في وجود وتقبل واستيعاب الهويات المحلية الداخلية المكونة لها الدينية والمذهبية والقومية والمناطقية كلها تكون هوية وطنية واحدة، فالاعتزاز بالقومية والمذهب والدين واللغة والثقافة و أي شكل من الخصوصية لا يتنافى مع انتمائه الأكبر للعراق، بل إن هذه الخصوصية تشكل جزءً من الانتماء الأشمل والأكبر وهو الانتماء إلى العراق. ولا يقف الأمر عند الداخل فقط بل إن الهوية الوطنية العراقية متفتحة على الخارج فهي غير مغلقة على نفسها بل منفتحة على الهويات الإقليمية المحيطة بها ، فالعراق ينتمي إلى الهوية الوطنية وفي الوقت ذاته ينتمي إلى الهويات المكملة الأكبر وهي الهوية العربية والهوية الإسلامية و الهوية الآسيوية وبشكل أشمل الهوية الإنسانية[٣٣]. وكل ذلك يعني إن الإحساس الجماعي بالهوية الوطنية هو الذي يعزز من قوة ومكانة هذه الهوية ، إذ إن التعبير عن الهوية في إطار الجماعة يكسبها القوة عنها في خارجها فنجد إن التعبير عن الهويات يأخذ عادةً مساراً جماعياً سواء أكان من أجل المحافظة على شكل القوة القائم أم في السعي نحو تغييره، فبذلك يعرف الفرد من خلال التعريف الجماعي عن الهوية[٣٤].

إن المجتمع العراقي بحاجة إلى ترسيخ الهوية وجعل الوعي بها وعياً جمعياً يعتز بالتراب والثقافة والتاريخ إزاء التحديات المعاصرة والمستقبلية، وهي من العمليات التاريخية الصعبة في ظل الظروف الاستثنائية نتيجة لكثرة الانتماءات الفرعية والتي على أهميتها ولكن إذا ما وجدت من يؤججها على حساب الهوية الوطنية أدت إلى تشتت الهوية الوطنية في كم من المتناقضات، وهنا يدرك أفراد المجتمع العراقي ضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية والهوية الثقافية في إطار التنوع في التكوينات التي تشكل الأساس الحقيقي والشامل من خلال وجود الثقافة العراقية التي تضم الثقافة العربية بشكل أساس مرتبطة بها مترافقة معها الثقافات والموجودات والمعاني والخصائص والأصول والأشكال والموروثات والتقاليد والتواريخ السكانية وكلها تجمعها و تؤطرها البيئة العراقية بيئتنا العراقية التي تحمل عنوان الهوية العراقية تلك الهوية التي تعكس التنوع وتترجمها للعالم إلى واقع لا يمكن نكرانه[٣٥]. وهنا يكون أمام العراقيين وفي إطار عملية الوعي الاجتماعي والوحدة في الهوية الوطنية العراقية الواحدة ضرورة نشر ثقافة التسامح وثقافة الديمقراطية وكيفية ممارستها لتحقيق التفاهم والحوار العقلاني الرشيد والواعي بماهية الهوية الوطنية العراقية[٣٦].

إن المرحلة التي يمر بها العراق تشهد حالة اقتناع العراقيين بأن الحل الوحيد للمشاكل المجتمعية التي عاشها هو التمسك بالهوية العراقية للتخلص من الحالات الغريبة من التفرقة والتعصب والهويات المتناحرة وتبني مفهوم الهوية العراقية مع الحفاظ على الخصوصيات القومية والدينية وان يفتخر العراقيون بتاريخ العراق بكل مراحله وأن تكون المرحلة التاريخية

---

[٣٢] عبد الحسين شعبان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧ .

[٣٣] سليم مطر ، ما هي الهوية العراقية ، مصدر سبق ذكره .

[٣٤] باقر سلمان النجار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧ .

[٣٥] د. سيار الجميل ، مصدر سبق ذكره.

[٣٦] منذر حسن ابو دان ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٩.

الحالية والقادمة تستند على إحياء الهوية العراقية والوطن العراقي بثقافة وطنية إنسانية موحدة ومتحدة ومتعددة وسلمية تجمع كل الفئات العراقية بخصوصيتها القومية والدينية والمذهبية تحت هوية أو شعار الهوية الوطنية العراقية[٣٧].

الخاتمـــة :-

تتعرض الدول والمجتمعات إلى مراحل صعبة وعصيبة تتأثر فيها بيئتها بمختلف الأشكال وعلى مختلف المستويات فتفرز ظواهر جديدة وغريبة على تلك المجتمعات، ومع تعرض العراق إلى الاحتلال وإفرازاته وتأثيراته السلبية على المجتمع طفت على السطح توجهات وأفكار غريبة وترجيح للهويات الفرعية والقومية والعرقية والطائفية والفئوية على حساب الهوية الوطنية تقوقع المنادين بتلك الهويات الفرعية تحت ظلها وتأثيرها فابتعدوا عن الإحساس بالهوية الوطنية العراقية فكانت النتيجة شيوع حالات العنف والإقصاء وعدم تقبل الآخر ، وبعد إعادة ترتيب الأوضاع وسكونها وفرز الايجابي من السلبي وإدراك النتائج والوعي لتأثيراتها في المجتمع يظهر من جديد وهو الحالة الطبيعية النزوع إلى الهوية الوطنية العراقية كمحرك ودافع فطري في التعبير الجوهري عن تلك الهوية مع الاعتزاز بالهوية القومية والدينية والعرقية واللغوية للجميع، بل إن الاعتزاز بهذه الهويات هو اعتزاز الجميع ومن قبل الجميع بكل تلك الهويات إذ تبقى الهوية الوطنية العراقية هي الوعاء الجامع الشامل لكل أبناء الوطن العراقي الواحد .

Abstract

States and societies are exposed to difficult stages that make their environment affected by various forms and at various levels and produce new and strange phenomena in these societies , and with the exposure of Iraq to the occupation and negative secretions and impact on society surfaced strange trends and ideas and weighted sub-identities over national identity squat advocates of these sub-identities under their shadow and impact , went far from the sense of Iraqi national identity. The result was the prevalence of cases of violence, exclusion and not accept other. and after the rearrangement of the conditions and sorting the positives from the negatives perception results and awareness of their impact in the community shows again a natural state propensity to Iraqi national identity as engine and drive inherent in the essentioal expression of that identity with pride on national, religious and ethnic and linguistic identity of all, and the pride of these identities is the pride of everyone and by everyone of all these identities, as the Iraqi national identity remains the vessel fully inclusive for all the sons of the Iraqi nation.

[٣٧] سليم مطر، احياء الهوية الوطنية .. الخلاص الوحيد امام العراقيين .. مجلة ميزوبوتاميا، على الموقع الالكتروني :
http://www.salim.mesopot.com/index.php?option=com_content&task=view&id=59